حوار الثلاثاء

نصيف الناصري: لا حروب لي إلاّ مع المنافقين والعاطلين عن الإبداع

الشاعر المغترب يرى أن الزمن والموت جدليّتان "بين خرائب محنتنا"

تتناول المجموعة الشعرية الجديدة للشاعر العراقي نصيف الناصري التي تحمل عنوان "بين خرائب محنتنا"، الزمن والموت والحبّ والصيرورة والتحوّل، وما يميز هذه المجموعة التي يعدها الناصري امتداداً للمجموعة التي سبقتها "في ضوء السنبلة المعدة للقربان"، حضور الموت بمعناه الشمولي بعنف.
ركز الشاعر على الزمن في قصائده الجديدة من خلال جريان اللحظات التي تستلبنا دائماً وتستلب حيواتنا وطموحاتنا بحسب الشاعر.
يقول الناصري: يعنيني التحوّل وتعنيني الصيرورة دائماً. وبحسب نقاد وشعراء فإن الشاعر نجح أيّما نجاح في تجسيد ذلك في مجموعته الجديدة. هذا الحوار يميط اللثام عن الكثير من أسرار تجربة شاعر يترك بصمات واضحة على صفحة الشعر العراقي.

حاوره في أمستردام / عدنان أبو زيد

×يرتفع صوت الغربة عميقاً في كتابات نصيف الناصري. هل أحدث الزمن الطويل الذي فارقت فيه المكان الأول انقلاباً في رؤيتك الشعرية؟

– **حياتي كانت دائما انقلابات متتالية على الصعيد الشخصي والشعري. في بداياتي كنت أكتب الشعر السوريالي الفكاهي، وفي النصف الثاني من سنوات الثمانينيات في القرن الماضي انشغلت بالقصيدة الكولاج وقدمت أشياء غريبة وأقمت معرضاً أسميته (التفكير بواسطة الصورة) في منتدى الأدباء الشباب عام ١٩٨٩، عرضت فيه مخطوطات لـ ٨ مجموعات ولوحات وتوابيت وحجارة الخ. في بداية سنوات التسعينيات وما أعقبها حاولت أن أقدم شهادات عن الكوارث التي أحاطت بنا وقدمتُ مجموعة من النصوص تنأى عن المباشرة والواقع المحطم بكل الأشياء المألوفة، وفي سنوات إقامتي بعمّان ١٩٩٤– ١٩٩٨ وبتأثير من اللقاءات اليومية بالمرحوم عبد الوهاب وسعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر، أعدت النظر بمجمل تجاربي مع الشعر، حيث اكتشفت أن ما أنجزته في الماضي وطبعاً هذا خطأ شنيع منّي، لا يلّبي حاجتي الروحية إلى التعبير عمّا أطمح إليه وأسعى إلى تحقيقه. قمتُ بتمزيق مجموعات كثيرة بعد أن صدرت مجموعتي الأولى (أرض خضراء مثل أبواب السنة) المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٩٦ على نفقة المرحوم البياتي ونالت صدى طيباً في العروض التي كتبت عنها. الانقلاب الشعري الكبير في تجربتي، أعتقد انه حصل أثناء إقامتي بالسويد حيث كان همي أن أقدّم قصيدة محملة بالأفكار وتعنى بمصير الإنسان في العالم وبؤسه وبؤس مصيره الحتمي، عبر سنوات من التأمل والقراءات العميقة والمراجعات لمجمل التجارب الشعرية العربية والعالمية، وكانت الحصيلة أنني عبر عزلة فرضتها على نفسي قد أنجزت ونشرتُ ١٢ كتاباً في الشعر والنثر، وهذا الصيف بدأت كتابة مجموعتي القادمة فأنجزت منها خلال الشهرين الماضيين ٨٧ صفحة ومازلت أواصل كتابتها.**

×في عام ٢٠١١ صدرت لك مجموعة شعرية جديدة حملت عنوان "بين خرائب محنتنا"، تدور موضوعاتها حول الزمن والموت والحبّ والصيرورة والتحوّل، ما الذي يميز المجموعة من وجهة نظرك لاسيما وأنها تثير الأسئلة حول مواضيع مختلفة، يربطها هاجس الفلسفة والتأمل؟

– **(بين خرائب محنتنا) هي امتداد للمجموعة التي سبقتها (في ضوء السنبلة المعدة للقربان) التي صدرت عام ١٩٩٧ عن منشورات بابل بدمشق، ومع الأسف أرسل لي الناشر علي الشلاه نسخة واحدة منها على الرغم من مئات الرسائل التي بعثتها له من دون جدوى. في هذه المجموعة يحضر الموت بمعناه الشمولي بعنف. الموت الذي لا نتذكره إلاّ حين نشعر بفقد عزيز ما، وننسى دائماً حقيقته المرعبة التي تلازمنا في كل حين. بدت لي مشكلة الزمن التي ينأى شعرنا العربي المعاصر عنها، جديرة بالتأمل من خلال جريان اللحظات التي تستلبنا دائماً وتستلب حيواتنا وطموحاتنا، وحاولت التعبير عن فعل الزمن بمصير البشرية من خلال مفهوم الحبّ. كل لحظة وكل نأمة في الزمن تسعى إلى تدمير الصورة الماثلة للمحبوب عبر الحركة والسرعة التي تجاهد في اقتيادنا إلى الشيخوخة والى الخراب. يعنيني التحوّل وتعنيني الصيرورة دائماً. أعتقد الآن أنني من خلال المران الطويل مع الموت قد صالحت موتي وعقدت معه ميثاقاً. لا أؤمن بالخلود لكني أعرف أن التحلل الكبير للجسد يمنحنا فرصة اللقاء بعناصر الطبيعة العظيمة. كل ميتة في تحللها وصيرورتها تمنح الإنسان العاري في العالم بعض السلوان في أن يشعر بأنه ليس ذرة غبار.**

×الناصري إشكالي في شعره وعلاقاته الحياتية، ترى إلى أين وصلت اليوم في حروبك، ثمة من اسرّ لي أن الناصري بات وحيداً، وانزوى بعيداً في غربته متعمداً ذلك؟

– **لا حروب لي إلاّ مع المنافقين والعاطلين عن الإبداع والشعراء الكذبة. لم انزو بعيداً ومازالت علاقتي مع الشعراء الحقيقيين وطيدة ويسودها الحبّ والتقدير والاعتزاز. الآن بعد أن تخلصت من أولئك الذين تحولوا بعد زلزال عام ٢٠٠٣ إلى حزبيين وطائفيين، أشعر بأنني أكثر قوة ومحبة إلى القارئ والى الناس.**

×مَنْ مِنْ مجايليك ظل صامداً في قارب الشعر، كثيرون خفق صوتهم، وبالمقابل فان ثمة أصواتاً شعرية جديدة، هل تسمها جيداً أم أنك تبدي عدم اكتراث بهم لسبب أو لآخر.

– **في الماضي أحصيت (شعراء جيلي) فوجدتهم قد بلغ عددهم ١٢٣ شاعراً، ظهروا وكتبوا في سنوات الثمانينيات، لم يبق منهم الآن إلاّ الساحر الجميل محمد مظلوم وعبد الزهرة زكي وجمال جمعة وطالب عبد العزيز وباسم المرعبي وزعيم النصار وناصر مؤنس وفضل خلف جبر ووسام هاشم. أكثر الذين أخفقوا، كانت أسباب إخفاقهم أنهم لم يكرسوا حيواتهم للشعر ومهمته الجليلة، انشغلوا بترّهات الواقع اليومي والوظيفة والعبودية للأحزاب التي ينتمون إليها والى شعاراتها الطائفية الكاذبة. البعض منهم الآن اكتفى بمهنة (المذيع. مقدم البرامج) التلفزيونية، والبعض الآخر كان آخر طموحه في حياته أن يرأس خزعبلات في صحف الحكومة والطوائف والأحزاب الخ. ثمة شعراء جدد أتابعهم بمحبة واحترام ويهمني التواصل الدائم معهم ومع تجاربهم مثل علي عبد السادة وحسام السرّاي وزاهر موسى وفارس حرام.**

تعلمت من البياتي البحث عن معنى وجودي في العالم ومحنتي ومحنة الإنسان الذي قذف به عارياً ليواجه مصيره في عالم تكتنفه الفظاعة ويخلو من الرحمة، ويبدو لي الآن أن تمزيق مجموعاتي السابقة بتأثير اللقاءات مع البياتي وسعدي كان فعلاً عاطفياً

اعتقدت أن كل الآراء والنصائح التي قدمت لي من البياتي وسعدي كانت صحيحة جداً. أعرف أنهما من جيل سبقني بـ ٣٠ عاماً، وما كان يتوجب علي أن أقوم بما قمت به، لكنني الآن لا أشعر بالخسارة لأن ما يهمني في النهاية هو تقديمي لقصيدة حقيقية وعميقة

الشعر في أوروبا فن ومصير شخصي والشاعر لا يهمه التهميش وهو يحب العزلة لأنها تمنحه فرصة عظيمة للتأمل والإبداع ومواصلة فعل الكتابة، عكسنا نحن الذين نجعل من الشعر كائناً مقدساً ونضفي على الشاعر البائس صفات مجيدة وجميلة وهو يتجول بين الخرائب حاملاً خزعبلاته وتنطعه وشكواه من الفقر والتهميش

×علاقتك الحميمة مع عبد الوهاب البياتي في عمان، ومع سعدي يوسف، هل من مواقف في الذاكرة تنعش الحاضر بعبق الماضي؟

– **تعلمت من سعدي يوسف على الرغم من اعتراضي على الكثير من مواقفه، أن الشعر يتطلب أن تكرس له حياة كاملة وتحنو عليه دائماً وألا تفرط بميثاقك معه مهما كانت الأسباب، وتعلمت منه أيضاً أن الشعر مصير فردي، أما المرحوم البياتي فقد تعلمت منه البحث عن معنى وجودي في العالم ومحنتي ومحنة الإنسان الذي قذف به عارياً ليواجه مصيره في عالم تكتنفه الفظاعة ويخلو من الرحمة، ويبدو لي الآن أن تمزيق مجموعاتي السابقة بتأثير اللقاءات مع البياتي وسعدي كان فعلاً عاطفياً، حيث اعتقدت أن كل الآراء والنصائح التي قدمت لي من قبلهما كانت صحيحة جداً. أعرف أنهما من جيل سبقني بـ ٣٠ عاماً، وما كان يتوجب علي أن أقوم بما قمت به، لكنني الآن لا أشعر بالخسارة لأن ما يهمني في النهاية هو تقديمي لقصيدة حقيقية وعميقة.**

×كيف تصف نفسك اليوم للجيل الشعري الجديد في العراق؟

– **لا أودّ التبجح هنا ويصعب عليّ تقديم نفسي وتجربتي للجيل الجديد بالعراق. أحاول في مطلع العام القادم أن أصدر أعمالي الشعرية بمجلدين ١٢٠٠ صفحة، ولهؤلاء وسواهم الحكم على ما أنجزته وما أحاول إنجازه في المستقبل.**

– **أنأى دائماً عن السياسة كمفهوم براغماتي وطائفي في عالمنا العربي. أحاول الغوص في أعماقي من أجل كتابة قصيدة تنأى عن المباشر واليومي. طبعاً نحن تخلصنا من مشكلة رهيبة أطبقت على بلادنا وحيواتنا ودمرت كل شيء بالعراق. زلزال العام ٢٠٠٣ أطاح بدكتاتورية صدام وسررنا به، لكن التصدعات التي أحدثها هذا الزلزال ما تزال مستمرة وأوجدت الطائفية والمحاصصة ونهب ثروات العراق وقتل وتدمير أبناء شعبنا من قبل الأحزاب الحاكمة والمعارضة، وفي النهاية نحن استبدلنا نظام صدام بنظام أكثر قسوة ووحشية منه. كل الذين وعدونا بإزالة الدكتاتورية، اكتفوا بالجلوس على مقعد صدام وإحياء نهجه في سلب الثروات والمناصب وتوزيعها على أعضاء أحزابهم وحاشيتهم.**

×عملت في المعارضة العراقية في الأردن قبل عام ٢٠٠٣، لكن لا اثر لهذه التجربة في شعرك بل في حواراتك ومقالاتك على ندرتها! هل هو إخفاء متعمّد لمرحلة جريئة في حياتك؟... أم ماذا؟

– **عملت في المعارضة ضد نظام صدام بعد خروجي من العراق، وفي عام ١٩٩٥ كنت من أوائل المساهمين في تأسيس فرع حركة الوفاق الوطني في عمّان مع آخرين، وكان صوتي يلعلع في إذاعتها (المستقبل) وكنت أكتب باسمي الصريح تحليلات إخبارية وموضوعات تسلط الضوء على ما يحدث بالعراق في ظل دكتاتورية صدام، وكنت أكتب كل أسبوع ريبورتاجاً في صحيفة بغداد، بالإضافة إلى إعادة نشر التحليلات السياسية التي تذاع في إذاعة المستقبل، وبعدها ساهمت في فضح الدكتاتورية عبر صحف معارضة أخرى في أوروبا والعالم العربي. لم أكن في يوم ما سياسياً ولا حزبياً وعملي معارضاً لصدام حسين مدة ٩ سنوات لحين سقوطه منحني الثأر الشخصي للسنوات التي شعرت فيها بالإهانة في ظل تسلطه الطويل على العراق وشعبه. بعد سقوط نظام صدام حسين شعرت بأن ما أديته من واجب وطني وأخلاقي في كشف وفضح الأساليب والسياسات الفاشية لنظام صدام قد انتهى، اتجهت إلى تطوير مشروعي الشعري ونأيت بنفسي عن السياسة التي هي مهنة الطائفيين واللصوص والمتسلقين في العراق وكل البلدان العربية. أشعر الآن بالحزن للمصير البائس لشعراء من جيلي ومن أجيال أخرى في تنطعهم للسياسي والحزبي ومحاولاتهم تلميع صورة هذا اللص الكالحة أو ذاك الطائفي المتعصب.**

×كيف ترى موقع الشعر العراقي على خارطة القصيدة العربية، البعض يتحدث عن انحسار الدور الريادي للشعر العراقي اليوم؟

– **لم يعد للشعر العراقي أيّ دور ريادي مزعوم على الشعر العربي الراهن. هناك الآن بعد انحسرت موجة الايديولوجيا السياسية عن حياتنا الراهنة، الكثير من التجارب والمشروعات الشعرية المهمة التي تنأى عن الآني والمباشر وتكون في خدمة هذا الحزب أو تلك الجهة.**

×حول تأثير القصيدة الأوربية على الحياة والمجتمع في أوربا، هل ثمة اختلاف في طريقة حياة الشعراء هناك، هل يعانون العزلة، أو التهميش، وحتى الفقر..؟

– **في ظل وسائل الاتصال الحديثة والتكنولوجيا في أوروبا والعالم، لم يعد للشعر أيّ تأثير في الحياة والمجتمع. يبدو لي الآن أن الشعر فن المجتمعات المتخلفة، على الرغم من أن هناك شعراء كبار في المجتمعات المتقدمة. الشعر في أوروبا فن ومصير شخصي والشاعر لا يهمه التهميش وهو يحب العزلة لأنها تمنحه فرصة عظيمة للتأمل والإبداع ومواصلة فعل الكتابة، عكسنا نحن الذين نجعل من الشعر كائناً مقدساً ونضفي على الشاعر البائس صفات مجيدة وجميلة وهو يتجول بين الخرائب حاملاً خزعبلاته وتنطعه وشكواه من الفقر والتهميش. ينبغي للشاعر أن يعتزل ويعيش في الهامش حتى لا يتوسل الدولة أو الطائفة والحزب والسياسي الغبي الأمي.**

×ما تأثير الغربة في شعر الناصري، وما هي الأمكنة التي تودّ زيارتها في العراق اليوم؟

– **ليس للغربة أيّ تأثير في شعري. كنت مغترباً في العراق أكثر وأشعر بالإهانة الدائمة، هنا تحررت من ضعفي ومن تسلط الألم علي سنوات طويلة وأكثر الأمكنة التي عشتُ فيها بالعراق أشعر بأنها استلبتني ودمرت حياتي.**

×شعراء عراقيون يعتقدون أنهم الأفضل اليوم ويطرحون أنفسهم على أنهم الممثلون للصورة الشعرية.... أين أنت منهم؟.

– **أيّ شاعر يدّعي انه الأفضل هو شاعر نفّاج وكاذب. أين هي أعمال هؤلاء الأدعياء؟ أين الأشياء التي أنجزوها ومنحتنا المتعة والجمال ودلّتنا على الطرق التي نسلكها في الليل الطويل للعالم ونحن نحمل مصائرنا المرتعشة إلى لحظة موتنا الأخيرة؟ أغلب الشعر العراقي الذي يكتب منذ دهر طويل، هو شعر تقريري ووصفي ومباشر وإخباري، لا يهتم بالصورة ولا بالمجاز وتسوده لغة الصحافة النثرية البائسة. كل شعرنا الماضي والراهن يخلو من الميتافيزيقيا ومن اللغة الخطرة والجديدة والغريبة، وهنا استثني بعض العقول الشعرية الكبيرة المعروفة بانجازاتها الرائعة.**

في ظل وسائل الاتصال الحديثة والتكنولوجيا في أوروبا والعالم، لم يعد للشعر أيّ تأثير في الحياة والمجتمع. يبدو لي الآن أن الشعر فن المجتمعات المتخلفة، على الرغم من أن هناك شعراء كباراً في المجتمعات المتقدمة.